

Adab Al-Rafidain

https://radab.uomosul.edu.iq



Description in Epistles of Extraction and Guidance from the Book of Prose of the Parrot by Abu Al-Faraj Al-Makhzoumi (d. 398 AH)

Ziad Tariq Dhahir
M.A. student / Arabic Language Department / College of Arts / University of Mosul

Ahmad Yahya Ali
Asst.Prof. / Arabic Language Department / College of Arts / University of Mosul

Article Information

Article History:
Received June17, 2024
Reviewer July 12 .2024
Accepted July 21, 2024
Available Online March1 , 2025

Keywords:
Aesthetic,
Creativity,
Taste

Correspondence:
Ziad Tariq Dhahir
ziad.21arp175@student.uomosul.edu.iq

Abstract

(Description) is an important and prominent purpose of literature, and description is the pillar of literature, and (description) has played an important role in expressing the feelings of the soul. Through it, the writer presents the feelings and sensations inside him, as through it a fully-defined picture of the described is conveyed, as the described is embodied. Through (description) we keep our eyes in front of us as if we see it in front of us. Description is a drawing in words. Through it, we gain insight into the writer's psychology and feelings. I chose this topic because it is one of the important topics that deserves study because of its beauty, taste, and creativity. We chose the book (Parrot Prose) by the writer (Abu Al-Faraj Abdul Wahid bin Nasr Al-Makhazi), nicknamed (The Parrot) for his fun and interesting style in dealing with many matters. It is not... It is easy to entertain people, but that book was very entertaining, meaning that this shows ability and creativity, in addition to the fact that this book was not studied according to this topic

DOI: 10.33899/radab.2024.150991.2187, ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.

الوصف في رسائل الاستطراف والاستهداء من كتاب نثر البَبّغاء لأَبي الفرج المخزومي (ت398ه)

زياد طارق ظاهر [1]　　　احمد يحيى علي **

المستخلص :

(الوصف) غرض مهم وبارز من أغراض الأدب وعموده، وقد أدى (الوصف) دوراً مهماً في التعبير عن خلجات النفس، فعن طريقهِ يطرح الاديب ما بداخله من مشاعر وأحاسيس، إذ يتم من خلاله نقل صورة كاملة المعالم للموصوف؛ إذ يتجسد الموصوف في (الوصف) نصب أعيننا وكأننا نراهُ أمامنا، فالوصف هو رسم بالكلمات ، ومنه نتوصل الى نفسية الاديب ومشاعره ، وقد اخترت هذا الموضوع لأنه من الموضوعات المهمة التي تستحق الدراسة لما فيهِ من جمالية وذوق وإبداع، وقد اخترنا كتاب (نثر البَبّغاء) للأَديب (ابو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزوني) الملقب بـ (البَبّغاء)؛ لأسلوبه الممتع والشائق في تناول العديد من الأمور ، فليس من السهل امتاع الناس، ولكن ذلك الكتاب كان في غاية المتعة، أي ان ذلك ينمُ عن القدرة والإبداع، فضلاً عن كون هذا الكتاب غير مدروس وفق هذا الموضوع.

[1] طالب ماجستير / قسم اللغة العربية / كلية الاداب / جامعة الموصل
** استاذ مساعد / قسم اللغة العربية / كلية الاداب / جامعة الموصل

الكلمات المفتاحيَّة: جمالية، إبداع، ذوق.

المقدمة:

أولاً: الوصف لغةً واصطلاحًا:

الوصف لغةً ((وصف الشيء له وعليهِ وصفاً، وصفةً: حلاَّه، وقيل: الوصف المصدر والصفة الحِلْية والوصف هو وصفك الشيء لحليته ونعتهِ[1] ، ومنهُ قَالَ تَعَالى:﴿ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ وهنا أراد ما تصفونهُ من الكذب[2]، وقد عرفهُ (الفيروزآبادي) بأنهُ نعت الشيء بما فيهِ وبين أن الوصّاف هو العارف بالوصف، ومنهُ (تواصفوا الشيء، وصفه بعضهم لبعض)[3]. ويقال للخادم وصيف والخادمة وصيفة ؛ لأنهما يوصفان بسماتهما عند البيع ووصف يصف وصفاً وصفةً فهو واصف، والمفعول موصوف[4]، فوصف فلان فلاناً بالشجاعةِ، أي نعتهُ بها، أو وصف فلانٌ منظراً، أي نقل صورة ما رآهُ[5]. إذاً فالوصف ومن خلال ما تقدم لا يخرج عن إطار الابانة والاظهار والابراز والإيضاح.

الوصف اصطلاحاً: يُعدُّ الوصف من أبرز أغراض الأدب شعرًا كان أم نثرًا، فقد واكب الابداع الأدبي ولازمه منذ الأزل، وقد عرّف عدة تعريفات لعل أبرزها هو نشاط فني يمثل باللغة الأشخاص والأزمنة والأمكنة والاشياء، فهو يحدد لنا هيئة الأشخاص والأمكنة والأزمنة وما تحملهُ هذه الأمور من ميزات ايجابية كانت أم سلبية [6] ، ويعرف أيضًا بأنهُ عرض للمتلقي وتقديم للكائنات والحوادث والوقائع، كي يُطّلع عليها ويتعرف إليها وإلى ما تحملهُ من صفات[7]. وهو أيضاً تمثيلٌ للأشياء، أو هو رسم لصورة الأشياء بقلم الفن [8]. وعرف أيضاً (بأنهُ بيان الأمر باستيعاب أحوالهُ وضروب نعوته الممثلة له ، وأصولهُ ثلاثة:

الأول: أن يكون الوصف حقيقياً مفرزاً الموصوف عما سواهُ.

الثاني: أن يكون ذا حلاوة ورونق.

الثالث: أن لا يخرج إلى حدود المبالغة والاسهاب ويكفي بما كان مناسباً للحال) .[9]

والوصف هو عمود الأدب، وإن كل الأغراض تابعة لهُ فالمدح وصف لنبل الرجل وفضلهِ، والنسيب هو وصف النساء والحنين اليهن والشوق إلى لقائهن، والرثاء هو وصف وبيان واستذكار محاسن المتوفى وتصوير آثارهِ أما الهجاء فهو ذكر وبيان سوءات المهجو وتصوير نقائصهِ وبيان معايبهِ ، فهكذا نستطيع أن ندخل أغراض الأدب جميعها ضمن الوصف ، فالوصف هو الأساس وهو كالشجرة وباقي الأغراض فروع لها .[10]

المطلب الأوَّل

وصف رسائل الاستطراف

رسائل الاستطراف:

وهي لون من ألوان الرسائل الإخوانية و الاستطراف لغةً: من الفعل طرف ومعناه التلذذ بالجديد[11]، أما اصطلاحاً: فهو إنشاء أمر طريف في الكتابة، ويتشكل ذلك لغرابة الشيء وتجدده بغية التلذذ. أما رسائل الاستطراف فيقصد بها تلك الرسائل التي تتضمن موضوعاً ما وتعالجه أو تتناوله بطريقة طريفة، أي أنها تعالج الموضوع وتتناوله بطريقة الامتاع والفكاهة، والفكاهة لغة: هي المزاح والتلذذ[12]، أما

---

(1) ينظر: لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الافريقي المصري،دار صادر، ط١ ،بيروت -لبنان،٢٠٠٠: (٢٢٣/٥)

(2) سورة الأنبياء: الآية 112.

(3) القاموس المحيط: محي الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي،تحقيق خليل مامون شيحة ،دار المعرفةللطباعةوالنشر، بيروت -لبنان،١٤٢٩ه-٢٠٠٨م : ١٤٠٢

(٤) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا (395 ت) ،تحقيق :عبد السلام محمد هارون،دار الفكر للطباعة والنشر ،دمشق -سوريا: (١٥١/٦) ،١٣٩٩ه-١٩٧٩م: .

(٥) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب ،ط١،القاهرة – مصر ،١٤٢٩ه-٢٠٠٨م ، (3/ 2447).

(٦) ينظر: معجم السرديات: محمد الخبو، دار محمد علي للنشر ،ط١، تونس،٢٠١٠م: 472؛ وينظر: فن الوصف وتطورهُ في الشعر العراقي الحديث: د. محمد حسن علي مجيد،دار الشؤون الثقافية،بغداد،١٩٨٨م : 12.

(٧) ينظر: المصطلح السردي: جيرالد برنس، ترجمة: عابد خزندار،محمد بربري،المجلس الأعلى للثقافة ، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣م: 58.

(٨) ينظر: تاريخ الأدب العربي: حنا الفاخوري،دار الجيل، ط١ ،بيروت،١٩٨٦م: 41.

(٩) جواهر الأدب في أدبيات وانشاء لغة العرب: أحمد الهاشمي،المكتبة التجارية الكبرى ،مصر ،١٩٦٩م : (٣٢٧/١)

(١٠) ينظر: الوصف في الشعر العربي: عبد العظيم علي قناوي،مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط١، مصر،١٣٦٨ه-١٩٤٩م: ٢٤؛ وينظر: الوصف في شعر العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين: د. جميل سعيد،مكتبة الهلال ،بغداد، ١٩٤٨م::١٤.

(١١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، (١٣٩٦/٢).

(12) ينظر: المخصص: علي بن إسماعيل بن سيدة(458هـ)،المطبعة الكبرى الاميرية، ط١، مصر،١٣١٧ه: 19.

اصطلاحاً: فهي طريقة او تعبير مغايرة عن امر ما تكسب اندهاش القارئ [1]. ولقد ازدهرت الكتابة الفكاهية في القرن الرابع ازدهاراً واضحاً، وهي لم تكن من ابتكارات هذا القرن، بل سبقهم كتاب من عصور سابقة إلى هذا اللون من الكتابة لكنها ازدهرت في عصر الببّغاء وأصبحت لوناً من الوان الرسائل، وإن الادب يتضمن الفكاهة، وان كان هذا الغرض قليلاً نسبياً، إلا انه تطور وازدهر وشاع أمره، وأن الفكاهة تصور لنا اخباراً مضحكة ونوادر شيقة، والفكاهة نوع من أنواع الترفيه بدأت تنمو تدريجياً، حتى بدأ هذا النوع بالانتشار في العصر العباسي وتطور بشكل كبير وازدهر، إذاً فالاستطراف هو حب التجديد والنزوع الى الطريف، فالأدب فيه طرائف ومواقف تدعو للطرافة والفكاهة[2] وتستخدم الفكاهة للتخفيف من وطأة القيود المعتادة، فهي تحقيق للمتلقي الدهشة ، إذ إنها تمنح نوعاً من التحرر من القوالب النمطية ، وهي تعد منفذا لتنفس كل ما هو غريب وجديد وجميل.

وقد كان الناس قديماً ينصرفون عن الفكاهة ؛ لأنهم لا يرون فيها نفعاً أو فائدة تذكر وأنهم أدركوا فيما بعد كيف أن للفكاهة دوراً في حياة المجتمعات لما تقوم به من أمور عدة، اذاً فالفكاهة تنتج البهجة والفرحة والسرور، والابتسامة وأن الفكاهة وكما ذكرنا آنفاً لها جذور قديمة ضاربة في أعماق التاريخ، إذ ذهب بعضهم إلى أن الانسان القديم كان ينقش الصور الفكاهية على جدران الكهوف، وذهب بعضهم أيضاً إلى أن الفكاهة فن قديم يتصل بالحضارات التي كانت بمصر قديماً، إذ إنهم كانوا ينحتون على جدران معابدهم الصور الفكاهية[3]، أما أما في العصر الجاهلي فقد كانت الفكاهة تتجلى في اسلوبين اثنين وهما إيجابي ويتمثل بالفخر والاعتزاز، أما الأسلوب الآخر فهو السلبي الذي يتعلق بالسخرية، وإبانة نقائص الآخرين وقد احدث مجيء الإسلام تغييرات عديدة ومن هذه التغييرات، تغيير شمل الادب اذ ان الإسلام الغى الفوارق الطبقية ومنع السخرية والانتقاص من الآخرين، إلا أنه لم يمنع الفكاهة، بل منع بعض الأمور عنها وقد اتخذها مجالاً للتسلية ولتغيير نفسية الناس آنذاك وملاطفة بعضهم البعض وفي العصر الاموي تطور هذا الفن وانتشر وكان بعضهم يستخدمون من الفكاهة مجالاً للتكسب، ثم جاء العصر العباسي وتوسعت الفكاهة وشاعت جراء الاختلاط والتزاوج بين الحضارات[4].

للببّغاء كتابات في الاستطراف وقد كانت رسائله في الاستطراف تتعلق بموضوعات اجتماعية، وتتوزع رسائله في الاستطراف على نوعين اثنين وهما نوادر التهاني، وطرائف الاستهداء.

1) نوادر التهاني:

وهو نوع من نوعي رسائل الاستطراف، وقد كانت رسالة الببّغاء الأولى:

أ) التهنئة بالعزل من الولاية:

إذ يقول:((من حل محله أيده الله تعالى من رتب الرياسة والنبل، كان معظماً في حالتي الولاية والعزل، لا يعد في قدرة تغيير الأحوال، ولا ينقله عن موضعه من الفضل تنقل الأعمال اذ كان اسيحاشها الغائب من بركات نظر، أنما كان بما أفادته محموداً اثره، فهنأ الله نعمة الكفاية واوزعه شكر ما اجتازه من النزاهة والصيانة لا اخلاه من التوفيق في سائر متصرفاته، والخيرة الضامنة لعواقب ارادته))[5].في الرسالة تهنئة بالعزل عن الولاية وهنا استطراف، فالببّغاء لم يعز أو يواس المعزول، لكنه اظهر محاسنه وموافقة المشرفة في الحكم، وبين أنه كان مشرّفاً للحكم، وليس الحكم مشرّفاً له، فهو يطيب خاطر المعزول ببيان مزاياه الحسنة وخصاله الطيبة.

يبين الببّغاء نبل وعظمة المعزول، وبين ايضاً مدى نزاهة المعزول وكيف كان حكمه يمتاز بالحكمة والعدل والنزاهة، وبين أن كل أعماله كانت موفقة في اثناء حكمه، ونلحظ في الرسالة وظيفة وصفية هي الوظيفة الإخبارية، فهو يخبرنا بأمور تخص من عُزل من المنصب، وكما نلحظ كذلك الوظيفة القيمية، اذ إنه يبين قيمة المعزول وقيمة المنصب والولاية وفي الرسالة وصفُ داخلي (معنوي) اذ إنه نقل لنا صفات وخصائص غير محسوسة، كالطيبة والنبل والحكمة وما الى ذلك من أمور أخرى[6].

---

(13) ينظر: المعجم الادبي،جبور عبد النور ،دار العلم للملايين ،بيروت ،١٩٧٩: 195.

(14) ينظر: الفكاهة(دراسات في الأدب): عبد الوهاب عزام، مجلة الرسالة العدد(١٩٣٩)303. ar.m.wikisourceorg؛ وينظر: في الشعر والفكاهة في مصر: د. شوقي ضيف،دار المعارف ،مصر ،١٩٩٩: 63.

(15) ينظر: الفكاهة والضحك (رؤية جديدة): شاكر عبد الحميد،المجلس الوطني للثقافة والفنون، عالم المعرفة ،الكويت:٤١٥؛ وينظر: الفكاهة في مصر: 23.

(16) ينظر: الفكاهة والضحك في التراث العربي المشرفي: رياض قزيحة،المكتبة العصرية ،الطبعة الاولى، بيروت-لبنان،١٤١٨ه-١٩٨٩م: 78؛ وينظر: الفكاهة والضحك: 305.

(١٧) ينظر: نثر الببّغاء،د.علي ابراهيم ابو زيد،دار الكتاب الجامعي ،الامارات،١٩٨٨: 191-192.

(١٨) ينظر: تقنيات الوصف :عبدالله خمار،دار الكتاب العربي، الجزائر، ١٩٩٨م:٧٧-٨٠.

ان الوصف كان وصفاً مباشراً يتعلق بأمور ذاتية خاصة بالمعزول من الولاية والوصف كان من الدرجة الأولى، اذ إنه وصف واقعاً محتملاً ونلحظ في الرسالة ان (الببّغاء) يهون على من تم عزله، فهو لم يندب حظ من عزل، ولم يندب بهذا الامر، بل هدّأ روعه بطريقة ذكية وعبقرية، فصار حزن المعزول وتعاسته الى فرح و سعادة عندما مدحه ووصفه بأروع الاوصاف وتم ذلك عندما أخبره الببّغاء بانه لم يخسر المنصب، بل المنصب من خسرهُ وفي الرسالة المذكورة في اعلاه يحاول ان يصحح مساراً اجتماعياً يتعلق بحزن الاعفاء من منصب معين، فالببّغاء حاول ان يقوّم بعض العادات ويصحح مسارها. وللببّغاء رسالة أخرى للتهنئة بالعزل عن الولاية، اذ يقول: ((لو كان لمستحدث الاعمال ومستجد الولايات زيادة على ما اختصك به من كمال الفضل ومأثور النبل، لحاذرنا انتقال ذلك بانتقال ما كنت تتولاه بمحمود كتابتك وتحوطه بنواظر نزاهتك وصيانتك غير ان الله تعالى جعلك بالفضل متقمصاً وبالمحامد متخصصاً، ولذلك كنت بالصرف مهنئاً مسروراً، كما كنت في الولاية محموداً مشكوراً فلا اخلاك الله من تواصل آلائه وتظاهر نعمائه في سائر ما تبرمه بهِ وتعتمده وترتئيه))[1].

وهذه الرسالة تدور حول محور فكري هو أن قيمة الانسان في نفسه وليس بما يتسنمه او يولى عليه، وهذه الرسالة كسابقتها إذ إنها تعالج موضوعاً بشكل ابداعي، ويرى الببّغاء فيها أن الانسان، وإن جُرّد من منصبه فإنه تبقى له مهابته وكرامته وعزة نفسه، ويرى أن الأعمال الحميدة هي التي ترفع الانسان في أعين الناس، فيُجلونه لحسن تعامله وحكمته ويحترمونه، ويرى (الببّغاء) أن نزاهة الشخص ونبله وافعاله الحميدة هي أساس في مكانته بين الناس، وان المعزول يهنأ بالعزل جزاء أفعاله الحسنة الطيبة، ويكسب رضا الله تعالى، والناس، وكل تلك الأمور تدفع بالسرور في نفس المعزول، فالناس لم تتركه وتستهجنه عند زوال حكمه وسلطانه بل هنأوه ووقفوا معه وبينوا حسن اعماله وافضاله عليهم، فالوصف اذاً كان وصفاً داخلياً يتعلق بالأعمال وحسن الولاية وطيبة القلب والحكمة في معالجة زمام الأمور ونلحظ أن الوصف كان عن طريق الفعل، إذ إن الببّغاء نقل لنا أعمال المعزول وما كانت عليه افعاله[2].

نقل الببّغاء الصفات التقويمية التي تندرج تحت الصفات الذاتية، وذلك حينما وصف طيبة المعزول وحسن تعامله اذاً فقد كان الوصف مستحلاً مواطن شائعة في النص، وقد احتل اهم المواقع فقد كان مسيطراً على النص ونلحظ مما سبق أن (الببّغاء) كان ذا حس مرهف وشعور جميل ونفسية تشعر بالآخرين، فالمعزول يحتاج الى من يقف بجانبه ويسانده ويؤازره في العزل اكثر مما يحتاج المباركة عند استلام المنصب . فهذا النوع من الرسائل يُعدُّ مساندة ودافعاً معنوياً لمن عزل عن منصبه ومهامه وتبين تلك الرسائل أن من تم عزله خرج سليماً لا دنس في اعماله، لذا يحمد الله تعالى على هذا الفضل، اذاً فالمجاملة والمؤازرة اهم في مثل هذه المناسبات التي ذكرت سابقاً كالعزل، فهي اهم وأولى من الوقوف بجانب الشخص في المناسبات السعيدة ونلحظ في الرسالة تطبيقاً لمبدأ التأدب الأقصى، ومن قواعده المطبقة. هي قاعدة الاستحسان[3] اذ إنه يستحسن من أعفي من منصبه ونلحظ كذلك قاعدة التعاطف[4]، اذ إنه تعاطف مع من عُزل.

ب) التهنئة بالمولودة:

أما اللون الآخر الذي تناوله الببّغاء وتعرض له في رسائله، فهو التهنئة بمقدم المولودة التي كانت مكروهة في السابق(في زمن الجاهلية) ؛ لذا كانت رسائل الببّغاء قريبة إلى الوعظ والنصح والإرشاد؛ اذ يقول مهنئاً صديقاً رزق بمولدة :((لو كان الانسان متصرفاً في امره بإرادته قادراً على ادراك مشيئته لبطلت دلائل القدرة واستحالت حقائق الصنعة وتساوى الناس ببلوغ الأحوال وقد اتصل بالمملوك خبر المولودة كرم الله غرتها، واطال مدتها، وما كان من تغيره عند اتضاح الخبر، وانكار ما اختار له سابق القدر، وقد علم مولانا انهن اقرب الى القلوب، وان الله تعالى بدأ بهن في الترتيب فقال جل من قائل:((يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور)) ولكم نسب أفدن وشرف استحدثن من طرق الأصهار والاتصال بالأخبار ، ولكم ذكر الانثى أكرم منه طبعاً وأظهر منه نفعاً)) [5]

نلحظ في الرسالة أن أديبنا (الببّغاء) ينصح ويرشد ويهدي، اذ يبدأ رسالته بجانب ديني وايماني، فهو يدعو بقضاء الله وقدره وبيّن أن الأمور بيد الله (عز وجل) وليس بأيدي بني البشر، ويبين أنه لا يجوز على المرء ان يغضب او ان ينزعج عندما يعلم ان مولودته انثى بل عليه ان يحمد الله ويشكره على هذه النعمة، ويبين ان المولودة تمثل الفرح والسعادة والبهجة فهي أقرب الى القلوب، ويستشهد بالآية القرآنية

---

(١٩) نثر الببّغاء: 292.

(٢٠) ينظر:الوصف في النص السردي (بين النظريةوالاجراء)،محمد نجيب العمامي،دار محمد علي للنشر ،ط١ ،تونس،٢٠١٠م،:٧٤-٧٧.

(21) ينظر: التخاطب (مبادئه وقواعده واستيريجياته واداوته):د.هاتف بريهي الثويني،دار الرافدين،بغداد،٢٠١٩م: 15؛ وينظر: اللسان والميزان:طه عبدالرحمن،المركز الثقافي العربي،ط١، بيروت-لبنان، ١٩٩٨: 246.

(٢٢) ينظر: استراتيجية الخطاب :عبد القادر بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد ،ط١ ، بيروت-لبنان، ٢٠٠٤: 112.

(٢٣) نثر الببّغاء: 296-297.

الكريمة:((يهب لمن يشاء اناثاً ويهب لمن يشاء الذكور)) [1] فهو قد أكد كلامه بقول الله (عز وجل) فهو اذاً قد سلك طريقاً دينياً في معالجة هذا الموضوع، وقد بين أن الأنثى قد تكون أنفع وأكرم من الذكر.

فالببّغاء هنا يدعو لهجران هذا الاعتقاد البائس وهو يدحض هذه الفكرة التي كانت عالقة في اذهان الناس، فعلى الإنسان أن يرضى بقدر الله ونعمته، وان لا ينزعج ويضجر من هذا الامر البالغ الأهمية، وان المذكورة سابقا تهنئة يتخللها النصح والإرشاد، فالببّغاء يعالج موضوعاً اجتماعياً بالغ الأهمية، وقد عالجه بالاستطراف وحسن الطرح وجمال التعبير نلحظ في الرسالة وظيفة نشر المعرفة ؛ اذ انه نشر معرفة تتعلق بقضاء وقدرة الله(عزّوجل) وان الأمور تعود اليه، وهو الذي يقدر ويرزق من يشاء الاناث او الذكور، ونلحظ ان الوظيفة التعبيرية كانت حاضرة، اذ إن (الببّغاء) عبّر لنا عن ذاته وموقفه من ذلك الأمر المهم[2].

ونلاحظ ان الوصف كان عن طريق اللغة، فالببّغاء نقل لنا الامر بسرد أمور تتعلق بالأنثى اذاً فالصفات التي كانت مدرجة في الرسالة هي الشرف والكرامة والعزة والجاه، والرسالة تدافع عن الانثى وحقوقها، وتصف لنا مدى أهميتها في المجتمع ومدى الدور الفعال الذي تؤدية في حياتها، فهي نصف المجتمع، وقد نجح (الببّغاء) نجاحاً تاماً في معالجة هذا الموضوع بطريقة الاستطراف فهو لم يُعزّ بالمولودة، بل بين محاسنها وعالج الموضوع بطريقة فذة قلّ من استعمل هذا الأمر وتطرق إليه.

ج) التهنئة بزواج الأمهات

ومن رسائل الببّغاء في الاستطراف هي التي يهنئ بها بزواج الأمهات، وهو فيها يعالج ايضاً موضوعاً اجتماعياً بطريقة طريفة؛ اذ إنه يعالج تعصب الأبناء من زواج الام، فما من ابن يموت ابوه الا ويكره أن تتزوج أمه لغيرة تلحقه من ذلك الذي يحل محل ابيه اذا كان الابن صغيراً، واما لاستهجان اجتماعي لزواج الام اذا كان الابن كبيراً، ولصعوبة التهنئة في هذا المجال فان الكتّاب كانوا يحولون التهنئة الى ما يشبه التعزية. وثم زادوا على ذلك بانهم هجنوا موضوعها بالكلمات الفكاهية والمعاني الساخرة[3]؛ وللببّغاء رسالة في ذلك الامر وكانت موضعاً لاختبار الببّغاء من قبل سيف الدولة الحمداني وقبوله في ديوانه ؛ اذ امر ان يكتب رسالة لرجل تزوجت امه احد أصحابه، فيقول الببّغاء في رسالته:((فلا يسخطنك من ذلك ما رضيه وجوب الشرع وحسّنه ادب الديانة ومباح الله احق ان يتبع، واياك ان تكون ممن: لمّا عدم اختياره تسخط اختيار القدر له)) [4].

في الرسالة معالجة لموضوع اجتماعي مهم وهو زواج المرأة بعد وفاة زوجها والموضوع هنا في غاية الحساسية، وهو مكروه ومرفوض من الأبناء ومن غالبية المجتمع،

؛ لذا فسيف الدولة اختار هذا الموضوع لحساسيته، فمنه يثبت الاديب اذا كان متمكناً قادراً على اقناع المتلقي، فالإقناع هنا هو غاية الاديب، وقد نحا الببّغاء منحى دينياً فبين لنا شريعة الله وحكمه في قضية الزواج، فاقناع المتلقي جاء عن طريق الشرعية الإسلامية وما أباحه الله تعالى ، فالوصف في الرسالة تعلق بالزواج الذي هو ستر للمرأة والرجل، ويبين ان الزواج سنة الله في خلقه، وبين أنه حق من الحقوق الشرعية للمرأة لما فيه من ستر لها وصون كرامتها ، وقد نهج (الببّغاء) نهجاً جاداً في معالجة ذلك الموضوع المهم، فهو لم يستهزئ أو يسخر لما للموضوع من قيمة، وكذلك لأنه كان طلباً من سيف الدولة، فقد عالجه معالجة عقلانية، ونلحظ في الرسالة معالجة لواقع معاش تعانيه اغلب النساء وفي النص وظيفة ارشادية عن ذلك الموضوع، وقد تم توظيف القيمة في هذه الرسالة وهي صحة الزواج، فهو امر لا غبار عليه، وهو يُعدُّ حقاً من حقوق المرأة، ونلحظ كذلك الوظيفة التفسيرية اذ ان الببّغاء فسر امر الزواج[5] ، ونلحظ كذلك الوظيفة الموقعية[6] ، فالببّغاء كان يحمل قواعد مفروضة عليه، ونلاحظ كذلك وظيفة نشر المعرفة، للتنبيه على ذلك الامر الذي هو في غاية

(٢٤) سورة الشورى، الآية 49.
(2٥) ينظر: الوصف في النص السردي بين النظريةوالاجراء:١٨٥-٢٠٣.
(٢٦) ينظر: صبح الأعشى: أحمد بن علي القَلْقشندي (ت ٨٢١ هـ) شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ :(٧٩/٩).

(2٧) نثر الببّغاء: 299.
(٢٨) ينظر:الوصف في النص السردي بين النظريةوالاجراء:١٧٦-١٧٩.
(٢٩) مصدر سابق:٨٠-٨١

الأهمية[1] في هذا الامر نجد وصفاً داخلياً، أي ان الزواج يتعلق بأمور عاطفية ويتعلق بالأحاسيس، ونلحظ أن عملية الترسيخ كانت حاضرة إذ إنه تم ذكر الموضوع الأساسي في بداية النص.

ويلاحظ في النص بشكل جلي وقوف (الببّغاء) بجانب المرأة فهي نصف المجتمع وهي مكملة لحياة لرجل فهو لم يغبن حقوقها في اختيار ما تحب وينهى عن التسلط عليها والتحكم بحياتها الشخصية، فالحرية متاحة لكل امرأة في حدود ما احله الله (عز وجل) لها ولا يمكن لأي شخص مهما كان من التحكم بها وفرض رأيه عليها، اذاً فالزواج حمل صفة الحرية وصفة الكرامة فالزواج أمر متعلق بذات الشخص والمرأة هي التي تقرر إن كانت ترغب فيه أم لا، ولا يحق للآخرين إبداء الرأي عنها، فهي تمتلك الحقوق كافة.

د) التهنئة بالمرض:

يعالج (الببّغاء) موضوعاً آخر في رسائله ، وهو التهنئة بالمرض وقد برع (الببّغاء) بهذا الامر وندر من برع واشتهر فيه، فالأمر هنا يتطلب ذكاء وسرعة بديهة وقدرة على التعبير، فيقول الببّغاء في هذا الأمر: ((في ذكر الله سيدي بهذا العارض_ اماطه الله- وصرفه وجعل صحة الأبد خلفه، ما دل على ملاحظته إياه بالعناية ايقاظاً له من سنة الغفلة اذا كان تعالى لا يذكر بطروق الآلام وتنبيه العظات غير الصفوة من عباده الخيرة من أوليائه، فهنأه الله الفوز بأجر ما يعانيه وحمل عنه بالطاقة ثقل ما هو فيه وأعقب ما اختصه من ذخائر المثوبة والأجر بعافية تقتضيه، ولا سلب الدنيا جمال بقائه، ولا نقل ظلّه عن كافة خدمه وأوليائه))[2]

يرى (الببّغاء) في المرض تنبيهاً للمريض الذي ابتعد عن الله تعالى، والمرض في الرسالة هو شفاء من الخطايا، فالمرض يكفر عن الذنوب ويخففها فالببّغاء يهنئ المريض بتنقيته من الذنوب والخطايا، والمرض هو اجر للمريض، وفي الرسالة أسلوب ممتع وطريف فالببّغاء لم يستهجن المرض ولم يذمه، بل جعله مدخلاً للأجر والنقاء من الخطايا والذنوب وهنا دافع نفسي للمريض، فهكذا كلام يقوي صبر المريض على مرضه، وكذلك يكون حافزاً له بالشفاء والتعافي ففي الرسالة دعوة للصبر وللعودة الى الله تعالى الذي هو يشفي ويبرئ كل مبتلى، ولا سبيل للشفاء الا بالعودة لله (عز وجل) ، فالجانب الديني واضح في الرسالة، وهذا الامر يعكس لنا شدة ايمان (الببّغاء) ورضاه بحكم الله (عزوجل) فهو الذي انزل الداء وهيأ الدواء، وكل الأمور بتقديره، ويدعو (الببّغاء) في الرسالة للمريض بالابراء من مرضه، ويبين مدى نقصه في الحياة ومدى أثره الطيب فيها، ونلحظ في الرسالة عدة وظائف وصفية كالجمالية، فالببّغاء قد انتج نصاً جميلاً وفي غاية الروعة[3] . ونلاحظ كذلك الوظيفة القيمية ، فالببّغاء قد بين قيمة العودة الى الله وبين مدى فضله علينا[4].

ونلحظ الوظيفة التفسيرية [5]في الرسالة ، فقد فسر لنا الببّغاء سبب المرض، وذلك عندما قال: (إن المرض هو ايقاظٌ من الغفلة والبعد عن الله تعالى)[6]. ونلحظ أن الوصف الذي تعلق بالمرض والمريض كان وصفاً داخلياً (معنوي) فالأمر كان متعلقاً بالأوجاع وبالخطايا وبالشفاء وما الى ذلك من أمور أخرى.

ونلاحظ ان الوصف كان بسيطاً لا تشعب فيه[7] ، وقد كانت الرسالة تحمل طابع الوجدانية والتأثير، فالببّغاء سلك طريقاً مؤثراً في رسالته وبين من خلالها الخطأ من الصواب[8] وفي الرسالة استهلال بذكر المريض اذ نعته بـ (سيدي) فالمريض هو احد السادة آنذاك، واستهل الرسالة بالدعاء له اذ يقول: ((أماطه الله عنك)) [9] أي ابعده عنك وشفاك منه، اذ نلحظ في الرسالة براعة في الاستهلال، ومقدرة على الاتيان بكل جميل، وان الرسالة نقلت لنا صورة عن المرض، وقد برع الببّغاء في انشاء تلك الصورة فقد كانت دقيقة بكل التفاصيل، ونلحظ ان الالفاظ كانت ميسورة واضحة المعالم لا تحتاج الى تاؤيلات، فقد ناسبت الموضوع، فالمريض ليس بحالة الرجوع الى المعاجم او التفكير بمعاني ودلالات الكلمات، وقد كان الأسلوب شيقاً، ولم نلحظ اسهاباً في الرسالة، وهنا ايضاً توافق الموضوع، فالرسالة اتبعت مقولة مناسبة المقال للمقام، والببّغاء في رسالتِهِ لم يتفنن ولم يلجأ الى الزخرفة والتبهرج، بل كان أسلوبه واضحاً ومباشراً، وفي الرسالة

---

(٣٠) ينظر: مصدر سابق:١٧٤.
(٣١) نثر الببّغاء: 299-300.
(٣٢) ينظر: : الوصف في النص السردي بين النظريةوالاجراء:١٧٤.
(٣٣) ينظر: منهاج تحليل النص السردي:د.عمر عيلان،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق-سوريا،٢٠٠٨: ١٢٠.
(34) ينظر: الوصف في النص السردي بين النظريةوالاجراء:١٨٠-١٨١.
(٣٥) ينظر: نثر الببّغاء: 229.
(٣٦) ينظر:الوصف في النص السردي بين النظريةوالاجراء: ١٢٤.
(٣٧) ينظر: الوصف في الشعر العربي: ٨٤.
(٣٨) نثر الببّغاء: 299.

يلجأ الببّغاء الى قاعدة الطريقة، وهي احدى قواعد (الاستلزام الحواري)، ومفاد القاعدة الابتعاد عن الابهام وتجنب الغموض والمنهجية أي التنظيم، وكذلك الايجاز[1].

وفي الرسالة تطبيق لمبدأ التأدب الاقصى، ومن قواعد التأدب الأقصى المطبعة في الرسالة هي قاعدة اللباقة، إذ ان الببّغاء في رسالته اكثر من ربح الاخرين[2].

ونلحظ كذلك تطبيقاً لقاعدة التعاطف[3]، فالببّغاء اكثر من تعاطفه مع المريض، اذاً فقد تم من خلال الرسالة وصف المرض بطريقة غير تقليدية، اذ إنه اصبح اكثر تنقية من الذنوب، وفيه دلالة للعودة الى الله (عزوجل).

وقد تبين مما سبق ان رسائل الاستطراف قد ازدهرت لأمور عديدة ولعل اهمها الجانب الاجتماعي، فالحياة في عصر الببّغاء كانت حياة مرفهة ميسرة وهذا الأمر يعد دافعاً أساسياً لازدهار الكتابة الطريفة والفكاهة الممتعة[4]، وذهب بعضهم الى ان رسائل الاستطراف تتعلق بصفاء ونقاء العلاقة بين الناس آنذاك، فهي تعالج مواضيع عن طريق الفكاهة والاستطراف وتلك الرسائل تبعد الهم والكدر عن الناس ونلحظ في رسائل الاستطراف بُعداً عن التوجيه وإصدار الأوامر، بل كانت تتبع أسلوب الارشاد واسداء النصائح، لذا فالقارئ آنذاك لم يستثقلها ولم يضجر منها [5].

نلحظ ان الادب في رسائل الاستطراف وصل الى قمة أوجه وازدهاره، وهذا الامر يعود الى الجانب الفني، إذ إن غرائب الكتابات والاستطراف تدلان على رقي الادب وتطوره، وقد يعود ذلك الامر كذلك الى نفسية الاديب، فالاديب هو الذي ساعد وبشكل مباشر في ظهور الطرف وهذا الامر يعكس لنا وبشكل جلي نفسية (الببّغاء) اذ انه كان بسيطاً ذا نفسية مرحة محباً للحياة واللهو والطرافة، وقد جعل من رسائله وسيلة لنصرة صديقه الذي يقع في محنة، فالببّغاء مزج بين الجد والهزل لانتاج كل ما هو جميل ومفيد ومعبّر ولافت للانتباه وقد عالج عدة أمور بطريقة مرحة بعيداً عن التشاؤم والتعصب والتعقيد ،وقد بين الناقد (احمد امين) ان الفكاهة والاستطراف نافعة في تهذيب الطباع وهي تعود الى نفسية الكاتب وذاته فاذا كان ماهراً انتج ما هو جميل وما هو ممتع[6]. والببّغاء في الوقت نفسه لم يجعل من يراسله موضع سخرية، بل كان متعاطفاً معه وواقفاً الى جنبه في محنته، أي ان (الببّغاء) أراد بالمزاح نفعاً ولم يرد به انتقاصاً او تشهيراً او تجريحاً، ونلحظ ان رسائل الببّغاء في الاستطراف التي توزعت بين من عزل من المنصب او من رزق بمولودة او بين من أصيب بمرض، امتازت بدقة في التصوير وبراعة في نقل الحدث وكانت الألفاظ منتقاة بشكل مناسب والأسلوب كان فذاً يعبر ويدل على الاديب في تعامله مع الأمور، وان الببّغاء استخدم الاستطراف وكما ذكرنا آنفاً للتخفيف عن المرسل اليه بأسلوب مرح وروح خفيفة الظل تختفي أمامها صعوبة المواقف، وكانت النتيجة ادخال الفرح والسرور الى من كُتبت من أجله الرسالة، فعَلم الببّغاء كان كدافع نفسي، وامل للنهوض من المحنة التي وقع فيها المرسل اليه، والانسان بحاجة الى مثل هذا الأمر، اذاً فالببّغاء لم يكن تقليدياً في معالجة الأمور، ولم ينحُ منحى التشاؤم وندب الحظ ولعن المصيبة، بل عالجها بشكل لطيف وذكي، أفاد منه من حلت به المصيبة، فهو قد خفف ألمه وفتت حجر مصيبته.

المطلب الثاني

وصف رسائل الاستهداء

ان الاستهداء هو ان يقوم الاديب او الكاتب، بكتابة رسالة يطلب فيها امراً معيناً من المرسل اليه، اذاً فالاستهداء هو طلب الشيء المرغوب من قبل المرسل برسالة ترسل الى من يُطلب منه ذلك الشيء[7].

أ) استهداء الدواة:

(٣٩) ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها،جواد ختام،دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط١ ،عمان- الاردن،١٤٣٧ه-٢٠١٦م: 102.

(٤٠) ينظر: التخاطب: 15.

(٤١) ينظر: استراتيجيات الخطاب: 112.

(٤٢) ينظر: الادب في موكب الحضارة الإسلامية-كتاب النثر-: مصطفى الشكعة،دارالكتاب اللبناني ، ط٢ ،بيروت-لبنان، ١٩٧٤: 493.

(4٣) مصدرسابق: 558.

(٤٤) ينظر: النقد الادبي: احمد امين، دارالكتاب العربي، ط٤ ،بيروت،١٩٦٧: 143.

(٤٥) ينظر: صبح الاعشى،(١٢١/٩)

وللببّغاء في هذه الكتابة نصيبٌ، اذ إنه كتب رسالة يستهدي فيها دواة، والدواة هي (المحبرة) أي وعاء الحبر[1] ويبيّن (الببّغاء) مدى أهميتها في حياته اذ يقول: ان المحبرة انفس الذخائر واشرف الاعمال فبالدوي تجتبى ثمرة الصناعة ويُحتلب درة الكتابة وقد اوحش الملوك الدهر فيما كنت اقتنيهِ من نفائسها وضايقه في وجود الرضى على الحقيقة منها، فان رأى مولانا ان يحيط ببعض ما يستخدمه من حاليها او عاطلها سمة عطلة المملوك ويسمح بإهدائها الى اهل تصريفه ويقابل بالنجح والتقبل رغبته، فعل ان شاء الله[2].

نلحظ في الرسالة طلباً من قبل (الببّغاء) من مولاه (دواة) والدواة هي المحبرة، وعاء الحبر[3]، وقد بيّن مدى أهميتها عنده، فهي ذات اثر فعال في حياته ولا يمكنه الاستغناء عنها، ففي بداية رسالته يقول إنها من انفس الذخائر واشرف الآمال، وهنا وصف في غاية العظمة، اذ إن الدواة عنده شيء نفيس لا غنى عنه، وبيّن انها اشرف الآمال أي انها اقدر واجل ما يتمناه المرء فمن خلالها يعبر عن تطلعاته وآماله، ويعبر عن صوت مجتمعه الذي يوظفه في كتاباته، ومن خلالها يدافع عن قضاياه وقضايا مجتمعه وأهله، لذا كان يعدُّها مصدراً للأمل وبدونها لن يتمكن الاديب من الادلاء بصوته والإبانة عن آرائه ومن خلالها يتم التعبير عن الحقيقة فهي اذاً ثمرة الصناعة ودرة الكتابة ومن دونها لا يوجد ابداع ولا تعبير ولا كتابة وان اهتمام (الببّغاء) بالدواة إشارة لاهتمامه بوسائل الثقافة وأدوات التعبير والكتابة، اذ يعدها نفيسة من النفائس فهو لم يطلب مالاً ولا ذهباً، لأن الدواة عنده أهم من كل معدن نفيس وسلعة باهظة وفي الرسالة ترجي (الببّغاء) لمولاه بان يمنحه دواة، ويتودد(الببّغاء) بطلبه لما تعنيه له ولمقامها عنده، ونلحظ ان (الببّغاء) قد ختم رسالته بـ(فعل ان شاء الله) [4] إن في كلمة (فعل) أسلوباً من أساليب الببّغاء في خواتيم رسائله، فالببّغاء كله امل بمن ينشده ان يلبي طلبه، ثم يقول ذلك (ان شاء الله)، وهنا إشارة لنهاية الرسالة واتمام طلبه، وهنا تمنٍ وامل لحصوله على ما ينشده، ونلحظ في الرسالة اسلوباً عذباً رقيقاً وكذلك ان الرسالة كانت خالية من التزويق والزينة اللفظية. فهي ليست مدحاً أو رثاءً بل طلب لدواة، أي ان الرسالة كانت مناسبة للمقام وان الدواة في الرسالة تعبر من خلال أوصافها عن الرقي والتقدم وانتشار الحضارة آنذاك، لذا أصبحت ذات أهمية في نقل الأفكار والتعابير، والببّغاء كان يسعى للحصول على دواة نفيسة ذات قيمة، وقد وضح الكتاب آنذاك صفات الدواة، فيجب ان تكون متوسطة في الحجم، فلا تكون كبيرة فيثقل حملها ولا صغيرة فتقصر اقلامها، وكذلك ذهبوا الى ان تكون الدواة نظيفة لا دنس عليها ولا حفر ولا نقش كي لا تكون مكاناً لتجميع الاوساخ[5]

ب) استهداء المداد:

يستهدي الببّغاء في رسالة أخرى مداداً لدواته، والمداد هو الحبر [6]

يقول فيها:((ان المداد أول آلاتها بأن تتوفر العناية عليه وينصرف التخير بالضرورة اليه، المداد هو ينبوع الآداب، وعتاد الكتّاب، ومادة الافهام، وشرب الأقلام)) [7] ثم يقول في نهاية الرسالة مادحاً صديقه الذي يستهديه المداد، فيقول:((لا تزال لنفائس الاخلاق موطناً، ولنجح الاخوان في المحل معدنا، ولا معدل بي عن استماحة خزائنك عمرها الله الممكن من جيده، فان رأيت ان تستنفذ دواتي من خمول العطلة، وتنزه قلمي عن ظمأ الغلة وتكشف عنها سمة النقصان والخلة، فعلت ان شاء الله تعالى))[8].

في الرسالة وصف واضح المعالم للمداد فهو ينبوع الآداب وعتاد الكتّاب وشرب الأقلام ومادة الافهام، وهو أولى آلات الكتابة و مصدرها، وبدونه لا تتم الكتابة، فمن خلاله تنتج الابداعات والكتابات والتأويلات، وهو مصدر للاستسقاء بالعلم والمعرفة، ومن دونه يتفشى الجهل وتضيع كل المعارف لذا قد عده (الببّغاء) ينبوع الآداب، فهو ينبوع للآداب والعطاء والتعبير وهو كذلك عتاد الكاتب أي انه كالسلاح الذي يتسلح به ، وبه يعبر وينصح ويدافع ويمدح ويثأر ويقاوم ومن دونه يندثر كل شيء ويضيع ثم يبين انه مشرب الأقلام، وهنا إشارة الى انه مصدر حياة القلم، اذ إن القلم يشربه ثم يطرحه علماً ونفعاً وادباً ومن دونه لا قيمة له ولا منفعة وهنا عناية اريد بها ان مصدر القلم هو (المداد)، وقد بين الببّغاء ان (المداد) هو مادة الافهام فمن خلاله تتم ترجمة الأفكار ونقل المعارف وبيان الآراء، لذا فقد عده مادة، أي لترجمة الأفكار ونقلها، اذاً فمن خلال ما سبق يتبين كم هي كبيرة فائدة المداد، ويجب العناية به، وفي التبخر به ضرورة لا غنى عنها، ونلحظ في خاتمة الرسالة ان الببّغاء يسعى لإبراز احسن صفات المرسَل اليه (صديقه) كي يكسب وده ويستهدي منه المداد، فيصفه بالأخلاق العالية، كالكرم والسماحة والعطاء وكل تلك الاوصاف هي كالتحفيز وكسب الود للحصول على (المداد)، وهذا الامر يعكس لنا

---

(٤٦) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، :(١/793)
(٤٧) ينظر: نثر الببّغاء: 310-311.
(4٨) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد1: 793.
(٤٩) نثر الببّغاء: 311.
(٥٠) ينظر: ادب الكاتب: أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، ترجمة: محمد بهجة الاثري،المطبعة السلفية ،مصر- القاهرة، ١٣٤١ه: 96.
(٥١) معجم اللغة العربية المعاصرة،(٣/2078).
(٥٢) نثر الببّغاء: 313.
(٥٣) نثر الببّغاء: 313.

مدى أهمية (المداد) في حياته ومدى شدة حاجتهِ اليه ونلحظ من خلال الرسالة الاهتمام في ذلك العصر بوصف الآلة، وبيان مدى أهميتها ودورها الفعال في الحياة بشتى مجالاتها ونلحظ في الرسالتين السابقتين عدة وظائف وصفية ولعل أهمها هي الوظيفة الجمالية اذ ان الببّغاء انتج جمالية من خلال وصف المداد والدواة، فضلاً عن وظيفة نشر المعرفة وبيان دور المداد والدواة في حياة الاديب ونلحظ كذلك الوظيفة التعبيرية، فالببّغاء قد عبر عن ذاته من خلال الرسالة[1]. وكذلك الوظيفة الإخبارية، إذ إنه قد اخبرنا بأمر الدواة والمداد، ونلحظ كذلك الوظيفة الرمزية، اذ ان الدواة والمداد رمز للعلم والمعرفة والتطور والرقي والازدهار[2].

ونلاحظ ان وصف الدواة آنذاك كان وصفاً ظاهرياً (خارجي) اذ انها كانت ذات صفات محددة كالحجم المتوسط والنقوش القلمية[3]، ونلحظ فيما سبق ان الوصف كان وصفاً وجدانياً اذ إن (الببّغاء) قد جّمل الدواة وجعل منها تحفة في غاية الروعة، ومدادها أمر في غاية الأهمية فكلاهما لا يمكن الاستغناء عنهما مما تطلب الامر[4] .

ونلحظ ان الوصف كان وصفاً في غاية الرونق والجمال، وقد نقلنا ذلك الوصف الى الحالة التي عاشها الببّغاء، والصفات كانت صفات تقويمية وجدانية في الآن نفسه، فضلاً عن الصفات الموضوعية وتم ذلك عندما وصف لنا الدواة والمداد. من خلال الشكل واللون وما الى ذلك من أمور أخرى[5]. والوصف فيما سبق كان وصفاً من الدرجة الأولى، اذ إنه وصف واقعي محتمل وليس من وحي الهام الاديب وتخيلاته[6].

فالدواة والمداد مصدر الثقافة والعلم والعطاء واستنبطنا تلك الأمور من خلال اوصافهما، فهما يعدان سلاح الاديب ومصدراً لإيصال تطلعاته وآرائه وقضايا أمته، اذ إنهما وسيلة التعبير وايصال الصوت ومن خلال الدواة تعلو السلطة او تهبط الى الحضيض فمن خلالها يتم إيصال صوت الحكام الى الشعب او الى البلدان الأخرى، ومن خلالها يصل صوت الشعب الى السلطة اذ إن الدواة هي لسان حال الامة ولولاها لاندثر كل علم وادب.

ج) استهداء الشراب:

وللببّغاء رسالة استطراف أخرى هي استهداء (الشراب) يقول فيها:((لقد طرقني من اخواني من كان الدهر يماطلني بزيارته وبنقّي علي بُقربه ومشاهدته، فصادفني من المشروب معسراً ووجدت الانبساط في التماسه من غيرك متعذراً، والى تفضلك تفرغ مروءتي في الإسعاف منه بما يلم شعث الالفة ويجمع شمل المسرة))[7] ويقول في أخرى: ((فان رأيت ان تنجد بالممكن منه مروءتي، على قضاء حق من اوجب المنّة علي بزيارتي))[8]

في الرسالتين السابقتين نلحظ ان (الببّغاء) لا يطلب (الشراب) لنفسه وانما يطلبه لضيوف نزلوا عندهُ، ونلحظ ان (الشراب) كان ذا قيمة عند (الببّغاء) فقد جعل منه منتفعا وسروراً وبهجة ويرى أنه ثمرة اللذة ويجمع شمل الالفة، فالخمر عنده كانت اساساً من أسس المتعة والمجلس والطرب، وان استهداء، الشراب من اكثر موضوعات الاستهداء وهي عادة مألوفة آنذاك[9] وبعد الطلب يشكر الببّغاء الصديق الذي يستهدي منه الشراب، ويصفه بالمروءة والشهامة والكرم، ويبين أنه المخلّص من الازمات والقادر على إغاثة طلبه وان شكره وثناءه جاء لاستعطاف الصديق وكسب وده، كي يلبي له طلبه، اذاً فقد وصف (الشراب) في الرسالة بانه الأنس والمتعة والشغف وهو الجالب للسعادة والألفة وكذلك انه يجمع الشمل، وهو دلالة على الكرم والجود والعطاء، ومن واجب المضّيف ان يقدم لضيوفه الشرب؛ لأنه يعكس كرمه وسخاءه، لذلك بعد ان نفذ من (الببّغاء) اضطر ان يستهديه من صديق له، ونلحظ ان الرسالتين كانتا تتمتعان بالاستطراف وخفة الظل، وهو في رسالته يبين سبب طلبه، أي انه يقوم بشرح موقفه الذي وقع فيه، والذي لا يحسد عليه، اذ انه اضطر لطلب (الشراب)، ونلحظ ان وصف (الشراب) وصف داخلي (معنوي)، وان الببّغاء تطرق الى ما يجلبه الشراب من متعة وانس وسعادة، فقد وصف

(٥٤) ينظر:الوصف في النص السردي بين النظريةوالاجراء:١٩٠.
(٥٥) ينظر:مصدر سابق:١٨٥ .
(٥٦) ينظر: في الوصفي :فيليب هامون،ترجمة :سعاد التريكي،بيت الحكمة ، ط٣ قرطاج-تونس:١٣٩.
(٥٧) ينظر: الوصف في الشعر العربي:٨٤.
(٥٨) ينظر: الوصف في النص السردي بين النظريةوالاجراء:٢٠٥.
(٥٩) ينظر: مصدر سابق:١٠٨.
(٦٠) نثر الببّغاء: 318.
(61) مصدر سابق: 318.
(٦٢) ينظر: النثر الفني في القرن الرابع :زكي مبارك، مؤسسة هنداوي،مصر ،٢٠١٢: ٥٩٤-٥٩٥؛ وينظر: سيف الدولة الحمداني- مملكة السيف ودولة الاقلام-مصطفى الشكعة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٧٧: 271.

الاحاسيس والانفعالات عن طريق الشراب[1] ، ونلحظ ان الوصف كان وجدانيا ايضاً، فالببّغاء قد صور الشراب بصورة جعلت منه شيئاً مهماً ولا غنى عنه، أي انه قد نقل لنا وجدانه وإحساسه تجاه الشراب وفي الرسالة عدة وظائف وصفية لعل أهمها الوظيفة التعبيرية، اذ إنه عبّر عن ذاته وعن حاجته للشراب، ونلحظ كذلك الوظيفة التصويرية، اذ إنه صوّر لنا نزول الضيوف عنده وكيف ان الشراب قد نفد منه لذا اضطر الى تلبية طلبه ونلحظ كذلك وظيفة زخرفية، فهو قد انتج من خلال طلبه الشراب نصاً جميلاً ونلحظ كذلك وظيفة التأجيل، فالببّغاء كان ينتظر امراً مؤجلاً هو الموافقة على منحه الشراب من الصديق (المرسل اليه) [2] ونلحظ ايضاً الوظيفة الموقعية، وذلك حين بين أهمية الخمر ودوره في النص[3].

د) استهداء الكسوة:

ومن الأمور الأخرى التي يستهديها (الببّغاء) هي (الكسوة)، فيكتب لسيف الدولة رسالة يستهدي فيها كسوة نفيسة، اذ يقول ((الرضا بالمأمول_ أطال الله بقاء سيدنا الاميرسيف الدولة. دليل على همة الامل، ومحل المسؤول في نفسه مترجم عن نفاسة نفس السائل، اذا كان الناس من التحلف بالكرم والتفاضل بالهمم في منازل غير متقاربة، ومراتب غير متناسبة، وشرف أدبه في شرف طلبه وإن علمي بكرمه وأملي به بعثني على التقرب إليه بالسؤال ومناجاة كرمه بلسان الآمال فسالته متقرباً، وطلبته مستحباً، فان رأى العادل الا في ماله، والمعتضد الا في افضاله، سيدنا الأمير سيف الدولة اطال الله بقاءه))[4].

نلحظ في الرسالة تمكناً في الصياغة فالببّغاء قد التزم أصول الكتابة وشروطها ونلحظ بشكل جلي مناسبة الطلب للمطلوب منه، فهو قد طلب الكسوة النفيسة من شخصيه مرموقة ومعروفة هي شخصية (سيف الدولة) أي ان عظمة المطلوب تدل على جلالة وفخامة المطلوب منه، ونلحظ في الرسالة صيغاً وعبارات تدل على الاحترام والتقدير والتبجيل لسيف الدولة، فقد مدحه بما يليق به وقد بين خصاله الحميدة ومزاياه المتعددة وان الببّغاء لم يطلب قصوراً او مالاً وما الى ذلك من أمور، بل كان طلبه معقولاً ومناسباً لا استغلال فيه ولا طمع.

وفي الرسالة عدة وظائف وصفية، كالوظيفة الإخبارية، فالببّغاء قد أخبرنا بحاجته المطلوبة، وبين خصال سيف الدولة، ونلحظ كذلك الوظيفة التعبيرية، فهو قد عبر عن ذاته وعن مطلبه في الرسالة، ونلحظ ايضاً الوظيفة القيمية فهو قد جعل لسيف الدولة قيمة ومكانة رفيعة. ونلاحظ ايضاً الوظيفة الزخرفية، فهو قد انتج نصاً في غاية الجمال والكمال، ونلحظ ايضاً وظيفة التأجيل فهو قد قام بتأجيل امرٍ منتظرٍ[5]. وفي الرسالة نجد وصفاً داخلياً تعلق بصفات سيف الدولة[6] . ونلاحظ ان وصف سيف الدولة كان وصفاً مباشراً لا تشعب ولا غموض فيه، وقد كان الوصف عن طريق القول، وتمثل ذلك بسرد أمور تتعلق بسيف الدولة والعطاء وحب فعل الخير[7]. ونلحظ في الرسالة ان الوصف الوصف جاء عن طريق عملية(الترسيخ) اذ انه تم ذكر (سيف الدولة) في مطلع الرسالة. ونلحظ ان الموصوف كان من الدرجة الأولى فهو امر واقعي وليس بالخيالي او غير محتمل الوقوع [8] اذاً فقد حملت الرسائل بشكل عام عدة أمور وصفات وتم التعبير من خلالها عن عدة دلالات ومقاصد، وتضمنت الرسائل بشكل عام عدة صفات وخصائص لمن حمل صفة (المرسل اليه) وان تلك الصفات لم تكن عشوائية او اعتباطية، بل كانت لغرض إيصال المعلومات الى القارئ فمن خلال تعرفنا على شخصيات عديدة تعرفنا على صفاتهم، اذاً فالرسائل كانت بؤرة للصفات التي حملتها الشخصيات الموظفة فيها، ومن خلالها تمكنا من عيش حالة الاندماج مع الاديب، فهو من خلال الصفات نقلنا الى عالمه الخاص الذي أراد ان نعيشه.

Reference

1. Narrative term: Gerald Prince, translated by: Abed Khazandar, Muhammad Barbari, Supreme Council of Culture, first edition, Cairo .
2. History of Arabic Literature: Hanna Al-Fakhouri, Dar Al-Jeel, first edition, Beirut, 1986 AD.
3. Jewels of Literature in the Literature and Creation of the Arabic Language: Ahmed Al-Hashemi, The Great Commercial Library, Egypt, 1969 AD..

(٦٣) ينظر:تقنيات الوصف: ٧٧-٨٠.
(٦٤) ينظر:الوصف في النص السردي بين النظريةوالاجراء:١٧٤.
(٦٥) ينظر:مصدر سابق:١٨١ .
(٦٦) ينظر: نثر الببّغاء: 322.
(٦٧) ينظر:الوصف في النص السردي بين النظريةوالاجراء:١٧٤ ؛وينظر : بناء الرواية: سيزا قاسم ،مكتبة الاسرة ،القاهرة ،١٩٧٨ :٨٠١.
(٦٨) ينظر: تقنيات الوصف :١٠٥-١٢٠.
(٦٩) ينظر: مصدر سابق:٢٥، ٥٤؛وينظر : الوصف في النص السردي بين النظريةوالاجراء:١٢٤
(٧٠) ينظر: الوصف في النص السردي بين النظريةوالاجراء:١٠٨-١١٨.

4. Description in Arabic Poetry: Abd al-Azim Ali Qenawi, Mustafa. al-Babi al-Halabi Library, first edition, Egypt, 1368 AH.
5. Description in Iraqi poetry in the third and fourth centuries AH: Dr. Jamil Saeed, Al-Hilal Library, Baghdad, 1948 AD..
6. -Dictionary of Contemporary Arabic Language, Volume .Designated by: Ali bin Ismail bin Sayyida (458 AH), Grand Emiri Press, first edition, Egypt, 1317 AH.
7. Literary Dictionary, Jabour Abdel Nour, Dar Al-Ilm Lil-Malayin, Beirut, 1979..
8. Humor: Abdel Wahab Azzam, Al-Resala Magazine, ar.m.wikisourceorg.
9. On poetry and humor in Egypt: Dr. Shawqi Deif, Dar Al-Maaref, Egypt, 1999..
10. Humor and Laughter (A New Vision): Shaker Abdel Hamid, National Council for Culture and Arts, World of Knowledge, Kuwait..
11. Humor and Laughter in the Musharafi Arab Heritage: Riyad Qaziha, Modern Library, first edition, Beirut-Lebanon, 1418 AH-1989 AD ..
12. Parrot Prose, Dr. Ali Ibrahim Abu Zaid, University Book House, Emirates, 1988..
13. Techniques of Description: Abdullah Khamar, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Algeria, 1998 AD..
14. Description in the Narrative Text (Between Theory and Procedure), Muhammad Najib Al-Amami, Muhammad Ali Publishing House, first edition, Tunisia, 2010 AD..
15. Communication (its principles, rules, strategies, and tools): Dr. Hatf Barihi Al-Thuwaini, Dar Al-Rafidain, Baghdad, 2019.
16. Tongue and Balance: Taha Abdel Rahman, Arab Cultural Center, first edition, Beirut-Lebanon, 1998.
17. Discourse Strategy: Abdul Qadir bin Dhafer Al-Shehri, New Book House, first edition, Beirut-Lebanon, 2004..
18. The Holy Quran
19. Subh al-A'sha: Ahmad bin Ali al-Qalqashandi (d. 821 AH). Explanated, commented on, and contrasted with its texts: Muhammad Hussein Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, first edition, 1407 AH – 1987..
20. Narrative text analysis approach: Dr. Omar Aylan, Arab Writers Union Publications, Damascus-Syria, 2008.
21. Pragmatics, its origins and trends, Jawad Khitam, Dar Kunooz Al-Ma'rifa for Publishing and Distribution, first edition, Amman - Jordan, 1437 AH - 2016 AD..
22. Literature in the Procession of Islamic Civilization - Prose Book -: Mustafa Al-Shakaa, Dar Al-Kitab Al-Lubani, second edition, Beirut - Lebanon, 1974..
23. Literary Criticism: Ahmed Amin, Dar Al-Kitab Al-Arabi, fourth edition, Beirut, 1967.:
24. Literature of the writer: Abu Bakr Muhammad bin Yahya Al-Souli, translated by: Muhammad Bahja Al-Athari, Salafi Press, Egypt - Cairo, 1341..
25. In Al-Wasfi: Philip Hamon, translated by: Souad Al-Triki, House of Wisdom, third edition, Carthage-Tunisia.
26. Artistic Prose in the Fourth Century AH: Zaki Mubarak, Hindawi Foundation, Egypt, 2012: 289; See: Saif Al-Dawla Al-Hamdani - The Kingdom of the Sword and the State of Pens - Mustafa Al-Shakaa, World of Books, Beirut, 1977..
27. Building the Novel: Siza Qassem, Family Library, Cairo, 1978.